الفصل الثاني

ملحـــق

إجتهادات من القرآن الكريم

obeikandl.com

obeikandl.com

هل قوم مدين هم أصحاب الأيكة....؟

كان **قوم مدين** (أو أصحاب الرس) عربانا يقيمون بمدينة بوادى " **الرّس** " (أي البئر غير المبنية) شرق خليج العقبة بالبحر الأحمر. وكانت بالقرب منهم منطقة غابات ذات أشجار كثيفة وملتفة، معظمها من شجر المقل (أي الدوم) تسمى " **الأيكة** "، ولهذا أطلق على ساكنيها أسم "أصحاب الأيكة". وتقع هذه المنطقة في طريق القوافل الآتية من شمال غرب الجزيرة العربية مارا بجوار الساحل الشرقى لخليج العقبة إلى شبه جزيرة سيناء ثم إلى مصر.

وكان أهل القومين فى رغد وسعة من العيش غير الشريف، وذوي بأس وجبروت فى مزاولة مهنة التجارة. وذلك لأنهما كانا يطففا المكيال والميزان ويبخسا أثمان سلع الناس عند شرائها منهم للكسب الحرام :

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا

تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾

(الأعراف٨٥)

فأرسل الله نبيه العربى " **شعيبا** " إلي هؤلاء الكفار (وشعيب هو حفيد حفيد إبراهيم الخليل: شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مديان بن إبراهيم ، من زوجته قطورة. وكما لقبّه المصطفى " **خطيب الأنبياء**"). ولقد ذكر الله أسمه أحدى عشر مرة فى أربع سور بكتابه العزيز .

دعا شعيب قومه أهل مدين إلى عبادة الله الواحد، وإلى العمل الصالح والمعاملة العادلة بينهم وبين بعض، وعدم الإفساد فى الأرض. ولكنهم رفضوا ساخرين وحذرهم شعيب من عذاب الله. ولكنهم هددوه ومن تبعه بالرجم والطرد من ديارهم :

﴿ ۞ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾

(الأعراف٨٨)

﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ﴿٩١﴾ ﴾

(هود٩١)

هنا حقّت على قوم مدين كلمة العذاب، فأصابهم "**بصيحة جبريل**" (أو الرجفة،أي الزلزلة) فهلكوا جميعا تحت أنقاض ديارهم :

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾

(العنكبوت ٣٦-٣٧)

(الأعراف: ٨٥- ٩٣) (هود: ٨٤- ٩٤)(الفرقان: ٣٨،٣٩) .

أما أصحاب الآيكة فكذبوه فى دعوته وأتهموه بالسحر :

﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾

(الشعراء ١٧٦-١٧٨)

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۖ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ ﴾

(ص١٢-١٣)

وطلبوا منه متحدين وبكل غباء وإنكار لنبوته، أن يُسقِط عليهم قطعا من السماء لتعذيبهم، إن كان من الصادقين :

﴿ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ ﴾

(الشعراء ١٨٦-١٨٧)

ولما أستمروا على تكذيبه، أخذهم عذاب " **يوم الـظلة** " بأن سلط الله عليهم الحر الشديد وحبس عنهم الريح سبعة أيام ولياليهم حتى الأختناق. وغلت مياههم، فلم ينفعهم ظل ولا ماء. ثم سير إليهم غياما فتجمعوا تحته للأستظلال به من وهج الشمس المحرق. وبرقت السماء ورعدت وأمطرت عليهم مطرا مكهربا صاعقا يكاد ماؤه يغلى كالنار، فأحترقوا جميعا، وكان حقا يوم عذاب عظيم :

﴿ قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ ﴾

(الشعراء ١٨٨-١٨٩)

يرى بعض المفسرين أن أهل مدين وأصحاب الأيكة عشيرة واحدة... ! لأن شعيب أخذ عليهما نفس المآخذ المحرمة. كما أن عذاب أهل مدين بالصيحة والرجفة لا يختلف عن عذاب أصحاب الأيكة يوم الظلة، فجميعها فى تتابع وتكامل...! وهناك من يري أن أصحاب الأيكة هم قوم شعيب....!

نعم إن **الصيحة** تتبعها الرجفة (أو الزلزلة) ولكنها تأتى فجأة وخاطفة دون سابق إنذار. وهذا ممكن علميا. فالصوت يتكون من موجات ذات أطوال وسرعات تردد محددة. والصيحة تشبه الصوت فى التكوين، لكن أطوال موجاتها أقصر، وسرعات تردد موجاتها أعلى بدرجة فائقة حسب شدتها، وقد تصل إلى حد القدرة على تفتيت الصخر. شيئ يشبه ما توصل إليه الطب حديثا فى تفتيت حصى الكلى(ويسمى **بالموجات فوق الصوتية**) .

أما عذاب **يوم الظلة**، فهو عذاب سَبَبَهُ الإختناق والإحتراق الممتد لفترة طويلة تصل إلى عدة أيام. وهو يختلف علميا كما سبق وصفه .

فإذا أضفنا إلى هذا أن شعيبا خرج من أهل مدين، وكان بينه وبينهم نسب وتراحم، كما نص على ذلك القرآن الكريم في ثلاث سور مختلفة:(الأعراف: ٨٥) (هود: ٨٤) (العنكبوت: ٣٦) وبنفس العبارة: (**وإلى مدين أخاهم شعيبا...**) في حين يغفل كلمة "أخاهم" بالنسبة **لأصحاب الأيكة** في سورة (الشعراء: ١٧٦-١٨٠) ليس سهوا – حاشا لله – بل متعمدا لكي يدل على أنهم غرباء عن شعيب وعن قوم مدين ولهذا أسماهم القرآن الكريم "**أصحاب الرّس**" ، مع ذكر "أصحاب الأيكة" في نفس السورة وفي أيتين شبه متعاقبتين متعمدا الإشارة إلى هذا الإختلاف .

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾

(ق١٢-١٤)

قال أبن زيد: أرسل الله شعيبا رسولا إلى قومه أهل مدين، وإلى أهل البادية وهم أصحاب الأيكة. (الجامع لأحكام القرآن – القرطبى: ١٣ – ١٤٥) (١٩٩٦م)) .

وهكذا يتضح لنا ما يجعلنا نرجح أن الواقعتين مختلفتان ومتعاقبان والله سبحانه وتعالى بغيبه أعلم .

موسى ونشأته بين العبرانية والمصرية

إستضافت مصر العبرانيين حينا من الدهر، قد يمتد تقريبا إلى ستة قرون، إبتداء من زيارة نبي الله إبراهيم لمصر في نهاية الأسرة ١٢، إلي نهاية الأسرة ١٩ (أي من حوالي عام ١٨٠٠-١٢٢٠ ق.م.) . وهم من القبائل السامية التي جاءت من وسط وغرب آسيا إلى العراق فالشام فأرض كنعان (فلسطين) فمصر، للزيارة أو العمل أو الإستيطان . ولذلك أطلق على كل مَن عبر النهرين دجله والفرات غربا إلى الشام "**عبراني**" . فكانت سلالات إبني نوح سام وحام، مثل: إبراهيم ولوط والهكسوس ويوسف ويعقوب والأسباط من أهم العبرانيين الذين وفدوا إلى مصر. ولقد إستوطن العبرانيون مصر وتمركزوا بمنطقة شرق الدلتا ، متخذين بلدة "**أواريس**" (أو تانيس وحاليا صان الحجر) مركزا لهم. ولهذا آمنت سرا قلة من سكان هذه المنطقة من المصرين بـ" **شريعة التوحيد**" الوافدة ، وعبادة الله الواحد، ونبذ عبادة الأوثان، والتحلي بمكارم الأخلاق وبالأعمال الصالحة لتنفعهم في دار الآخرة. وبقيت هذه الشريعة حبيسة في صدور مَن آمن بها، وتوارثوها عبر الأجيال . وكان المصريون يعاملون العبرانيين معاملة حسنة، فعاشوا وتناسلوا بشرق الدلتا في سلام وأمان ، وتعلموا اللغة المصرية القديمة ، وزامنوا، ولكن عن بعد وبدون إتصال، عهد "**الملك إخناتون**" (أمنحوتب الرابع) المتواجد في طيبة بجنوب مصر، وثورته الدينية المستقلة (أو دينه الجديد الداعى إلى وحدانية الإله، لأول مرة في تاريخ العالم المكتوب) حتى نهاية الأسرة ١٨ .

وقامت الأسرة ١٩، في حوالي عام ١٣١٠ ق.م.، على أكتاف عائلة مصرية من الشعب، ولا علاقة لها بالأسرة الملكية السابقة. وكان مؤسس هذه الأسرة "**الملك رمسيس الأول**" ضابطا بجيش الملك إخناتون. ونشأت عائلته القوية ببلدة "**تانيس**" بشرق الدلتا معقل العبرانيين . ولما كانت هذه

المنطقة مقر عبادة الإله المصري "**ست**" (أي المبجل)، لهذا أسمى الملك رمسيس الأول إبنه الوحيد "**سيتي**". الذي نشأ نشأة عسكرية، وكان بدوره قائدا حربيا وإداريا محنكا. خلف سيتي أباه الملك بعد فترة وجيزة، وتزوج أخته ورزق بولدين وبنتا. مات الولد الأكبر في حياة أبيه، وآلت ولاية العهد إلي الولد الثانى"**رمسيس الثاني**". وأشرك الملك في شئونه أبنه، وهو لايزال في العاشرة (حوالى عام ١٢٩٥ق.م.) ثم أعلنه وليا للعهد، وتوّجه مرتين شريكا له في الملك بعد ذلك بسنوات قليلة (لم يعرف عددها). وبذلك أصبح رمسيس الثاني مثل والده **فرعونا ثان** للبلاد في نفس الوقت. وقد خلف أباه بعد حكم مشترك بلغ مداه ١٣ سنة (وقيل ١٩ سنة) .

كان الملك سيتي الأول قد أقام له بيتا (أو منتجعا) صيفيا بشمال شرق الدلتا، على الضفة الشرقية لفرع نهر النيل "البيلوزي" الذي يصب في بحيرة المنزلة، شمال مقر العبرانيين (أو بنى إسرائيل، سلالة يعقوب ويوسف عليهما السلام) وعلى مقربة منه. وكان يطلق علي هذا المنتجع إسم "الفرعون" (تعريب بر+عا، أي **البيت الكبير** أو الصرح)٠ وهناك نشأ رمسيس الثاني وأخته الأميرة "**سات رع**"، وكانا يهويا الإقامة فيه بعيدا عن الحياة الصاخبة والطقس الحار بالعاصمة **طيبة** في الجنوب. وربما كان ذلك سببا في تأثر أخته، فقط، بشريعة بني إسرائيل (نتيجة إختلاطها بنسائهم) وعليه إيمانها سرا بوحدانية الله. أما هو فقد كان منشغلا مع أبيه في الحكم .

تزوج رمسيس الثاني بعد أن صار شريكا في الملك (أي وهو الفرعون الثاني الأصغر) من أخته الأميرة، كما فعل والده من قبل (وهي عادة مصرية قديمة، وكانت بلا شك تسهم في تقوية مركز الملك على عرش البلاد) وأقاما

بالبيت الكبير. وأصبحت الأميرة تحمل العديد من الألقاب منها : بنت الملك من صلبه ، وزوجة الملك العظيمة .

ولما ثارت قبائل "الشاسو" (وهم من بنى عيسو توأم يعقوب، والمقيمة بجنوب فلسطين وبسيناء) ضد السلطة المصرية، وعاونهم في ذلك أبناء عمومتهم العبرانيون من بنى يعقوب من داخل مصر، وبعد فشل تمرد الشاسو، تغيرت معاملة السلطات المصرية للعبرانيين، لخيانتهم، إلى معاملة سيئة. ولقد بلغ هذا التغيّر أقصاه في عهد الملك رمسيس الثاني " **فرعون ذو الأوتاد**" أي ذو المسلات (في اعتقادنا، لأنها تشبه الأوتاد المقلوبة) ولقد لقبه القرآن الكريم بهذا اللقب ربما لأنه أقام وحده ما يزيد عن ٣٥ مسلة.... ! :" **وفرعون ذى الأوتاد** " (الفجر: ١٠). والسبب لهذا التغيُّر في المعاملة، كانت رؤيا للفرعون، بأن نارا جاءت من بنى يعقوب فأحرقت عرشه :

﴿ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝ ﴾

(القصص ٣-٦)

وفسرها الكهنة بأن مولودا ذكرا من العبرانيين سيكون على يديه نهاية عرش الفرعون. فأصدر الفرعون أمره بقتل كل مولود ذكر تلده عبرانية عام بعد عام (أي عام قتل وعام استحياء) حتى لايباد نسلهم من الذكور لحاجة البلاد إلى عمالتهم .

obeikandl.com

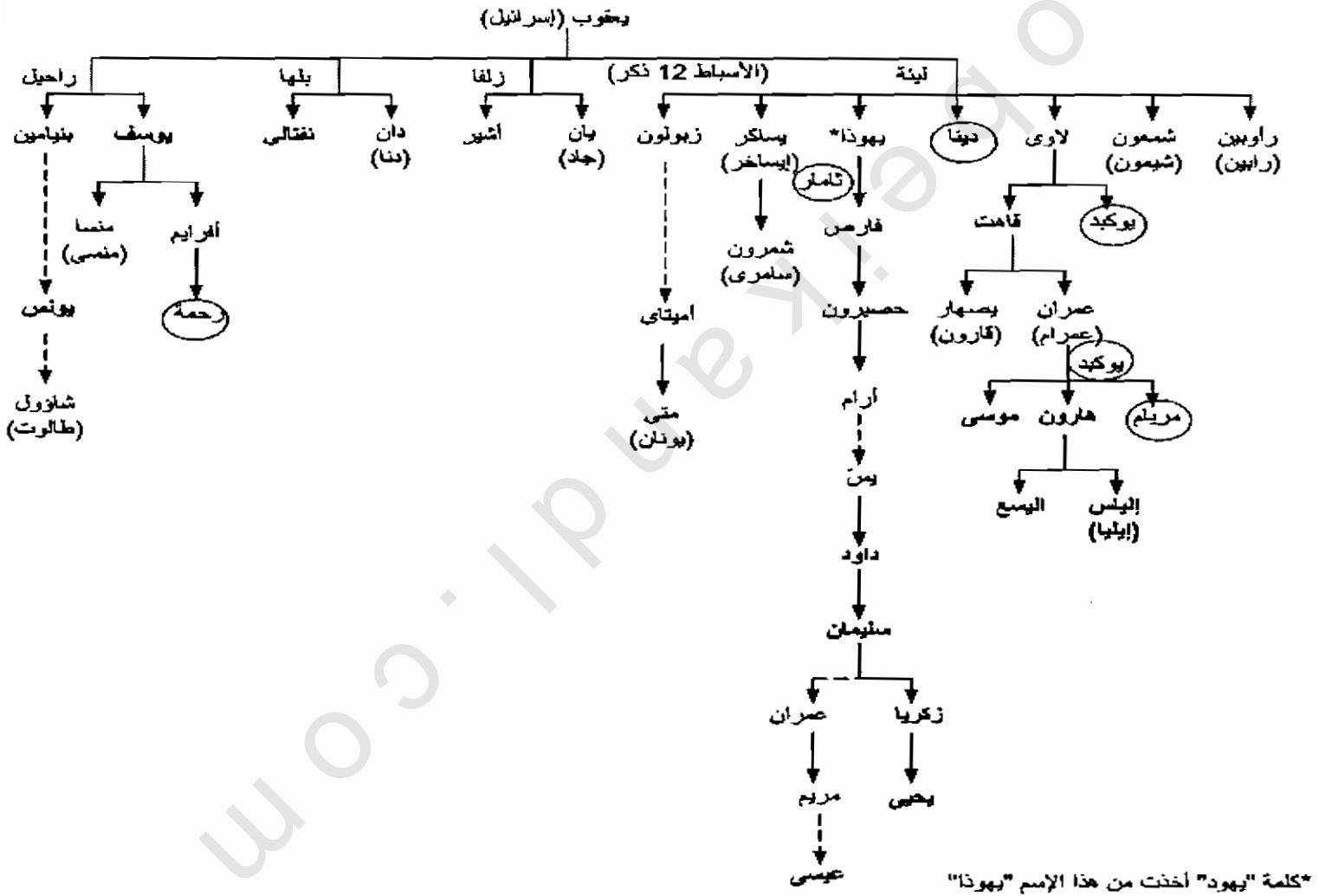

*كلمة "يهود" أخذت من هذا الإسم "يهوذا"

في هذا الجو المرعب تزوج أحد أشراف العبرانيين "**عمران** بن قاهت بن لاوى بن يعقوب " من عمته "**يوكبد** " (أي الموقرة) وهما من القلة الموحدة المؤمنة. وولدت له بنتا وولدين: **مريام** و**هارون**، في عام استحياء، و**موسى**، في عام قتل (راجع شجرة نسب بني يعقوب). وكان مولد موسي (عام ١٢٩٣ق.م.) فى نفس العام الذي اشترك فيه رمسيس الثاني فى الحكم مع والده سيتى الاول. وأخفت "يوكبد" موسى عن قومها وعيون فرعون. وألهم الله أم موسى، إذا خشيت أن يعرف فرعون أمره ويقتله، أن ترضعه، ثم تضعه في صندوق وتلقيه في نهر النيل غير خائفة ولا محزونة. فقد تكفل الله لها بحفظه ورده إليها، وسيجعله من المرسلين :

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾

(القصص ٧)

صَدَّقت أم الوليد هذا الإلهام، ونفذته ليلا بكل دقة وثبات وثقة. وكان بيتها، بحي العبرانيين، يقع بالقرب من "البيت الكبير" من جهة الجنوب. ولما رأت أن تيار مياه النيل سحب الصندوق شمالا إلى البيت الكبير، وأنه لا محالة واقع في يد فرعون. ووسوس لها الشيطان على وليدها، فأخذ الدم يهرب من قلبها (أي يقل من ارتفاع سرعة نبضاته) من شدة إحساس فؤادها بالخوف والهلع، واصابها هبوط شديد. وكاد أمرها ينكشف، لولا أن ربط الله على قلبها (أي ثبته بالصبر والطمأنينة) لكي لا يتم ذلك، وأيضا لتكون من المؤمنين :

﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾

(القصص ١٠)

أ – مكان إلقاء الصندوق في اليم.
ب – مكان إلتقاط الصندوق.

وفى الصباح عثر الجواري وهن يغتسلن على الوليد المجهول الإسم والجنسية ، وأحضروه إلى "إمرأة فرعون" (الإبن) كما يقول القرآن، أي "إبنة فرعون" (الأب) كما تقول التوراة .

﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ ﴾

(القصص٨)

لم تكن الملكة الزوجة الملهمة قد رُزقت بطفل بعد، إما لصغر سنها أو لأي سبب آخر. وكانت، على خلاف أهلها، مؤمنة ورحيمة لسببين :

أولا – لسلالتها التي لم تكن، أبا عن جد، من البيت الملكى القديم. لكن نبتت بذرتها فى **أرض جوشن** بشرق الدلتا من أيام النبى يعقوب والأسباط (أي من حوالى ثلاثة قرون) وحماها الله عبر العصور .

ثانيا – لنشئتها فى بيت أبيها الصيفى بشرق الدلتا، بالقرب من مقر العبرانيين. وبالتالى لإختلاطها المؤكد ببعض الصديقات العبرانيات من الأسر المحافظة الموحدة بالرب (والمقيمة فى نفس المنطقة) والتأثر بهن لدرجة الإعتقاد بوحدانية الإله. فألقى الله فى قلبها محبة هذا الوليد. وأحس زوجها الفرعون أنها متعلقة به، والذى فكر فى قتله لربما يكون أحد أطفال العبرانيين، وهم فى هذه السنة محكوم عليهم بالموت. ولكن الملكة الشقيقة أزالت هذه الفكرة من مخه بقولها : إن هذا الطفل سيكون مبعث سرور لى ولك. وطلبت منه، وهى ترقق قلبه، أنْ يستبقيه رجاء أن ينتفعا به، أو يتبنياه :

﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ ﴾ (القصص٩)

وكان رد الفرعون: يكون مبعث سرور لك، أمّا لى فلا حاجة لى فيه. لذلك هدى الله إمرأة فرعون، وحَرَمَ الفرعون من الهداية. ووهب الفرعون الطفل لإمرأته عن طيب خاطر (فهى أيضا شقيقته الوحيدة) وسمح لها بتربيته فى البيت الكبير، بعيدا عن العاصمة وإدارة الحكم. وهو لا يدرى بما قدره الله فى شأنه مستقبلا. وكان هذا تدبير من الله تعالى للوليد ولأمه العبرانية الصدِّيقة التي ولدته، لكى يعود إليها لتكون له مرضعة، وهى آمنة من الخوف. ولكي لا تحزن، كما وعدها الله :

﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ۝ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ ﴾

(القصص ١١-١٣)

وكذلك تدبير من الله لأمه المصرية بالتبنى والإستحياء والتربية، بعيدا عن طبيعة تصرفات زوجها الجافة الظالمة. والتى كانت هي غير راضية عنها. وأسمت الرضيع بلغتها المصرية القديمة "**موسى**" (أي الوليد). وقالت التوراة، أن التي أنتشلت الرضيع من مياه النيل هي إبنة فرعون (الأب) وأسمته "**موشية**" بالعبرانية (أي نشيل الماء) وترجمتها "موسى". وقصة التوراة هنا ليس فيها إختلاف (على ما نعتقد) مع ما جاء بالقرآن الكريم، الذي يقول أن التي عثرت وتبنت الوليد هي إمرأة فرعون (الإبن المقيمة بالبيت الكبير بالتأكيد، وليست إمرأة الأب المقيمة بطيبة)، حيث أن إمرأة الإبن كانت أخته (أي إبنة فرعون الأب، فالزوجة والإبنة شخص واحد، وبذلك صدقت التوراة وصدق القرآن الكريم الذي :

﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾

(فصلت ٤٢)

وهذا يؤيد أن إمرأة فرعون التى عثرت علي الوليد هي شقيقته وليست مرأة أخري .

بعد إنتهاء فترة الرضاعة، تم رد الوليد مرة ثانية إلى أمه بالإستحياء المصرية، والتي أسمته بلغتها "موسى" (أي الوليد). وأشرفت على تربيته وتعليمه هي ومن ورائها زوجها الفرعون على أحسن وجهه، وعلى يد كبار المدرسين. حيث كان العلم آنذاك في أعلى صوره، حتى صار موسي شابا يافعا:

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ **(القصص ١٤)**

وهذا يبين لنا، أنه حتي الفرعون قد ناله من حب الإله للوليد، جانب :

﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ ﴾

(الشعراء١٨)

﴿ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ ﴾

(طه٣٨-٣٩)

بدليل أنه عندما آمنت إمرأته فيما بعد بموسى وربه، أغمض عينيه عنه، مرغما أم طوعا، إلى حين (وخاصة بعد عودة موسى من أرض مدين كرسول من عند الله لدعوته وملأه لشريعة التوحيد). وعاش موسى حرا طليقا هو وهارون نحو ٣٧ سنة (١٢٦٠ -١٢٢٣ق.م.) لمواصلة دعوته لقومه وللمصريين .

قام رمسيس الثاني خلال إشتراكه في الملك مع أبيه، وإشرافه علي الإنشاءات بالبلاد (عام ١٢٩٥ - ١٢٨٢ ق.م.) بتخطيط مدينة "**بررعمسيس**" (وتعني بيت ولد الشمس الإله) متخذا بيت والده هناك بشرق الدلتا نواة لها. وخلال بضع سنين قليلة، قام ببنائها مستعينا بالعمالة العبرانية القاطنة بجنوب الموقع مباشرة. ثم إتخذها، بعد إنفراده بالحكم، **عاصمة ثانية** لملكه في الشمال الشرقي للبلاد .

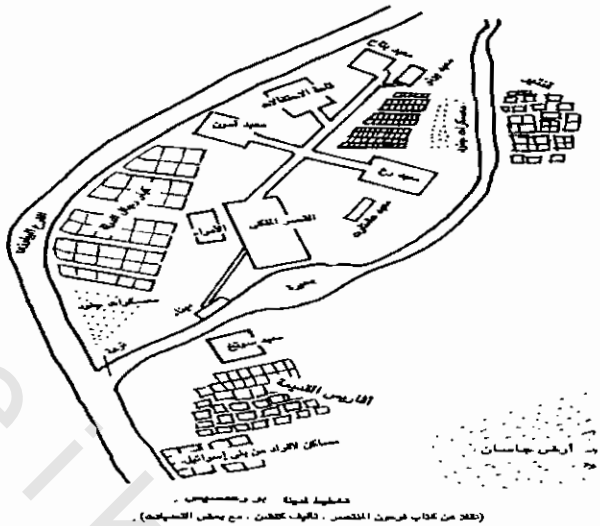

لم يذكر التاريخ المكتوب حتى الآن، أي معلومات أكثر عن هذه الملكة الأخت "**سات رع**" **إمرأة فرعون المؤمنة**، التي في إعتقادنا (عن كتب السيرة) هي "**آسيا بنت مزاحم**" – الإسم المُعَرَّبْ– وهذا يعتبر من فضل الله عليها. إلا أنه قد عُثر على تابوتها فقط، المصنوع من الجرانيت الوردي ومنقوش عليه إسمها، في مدينة " هابو"، وهو الآن بالمتحف المصري ٠

لما صدر الأمر الإلهي لموسي بعبور البحر ومعه أتباعه إلى سيناء، إتبعهم فرعون وجنوده لمنعهم. لكن مياه البحر، بعد عبور موسي وأتباعه، إنطبقت على جنود فرعون، الذين أُغمى عليهم من هول المفاجأة، فأهلكتهم جميعابالغرق:

﴿ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ﴿٧٨﴾ ﴾

(طه٧٨)

يبدو أن الفرعون، كما تقول كتب التفسير، قد قام بتعذيب إمرأته لإيمانها بالله. وأنه ربما (في رأينا) قد أخفى جثتها بعد وفاتها حفاظا على سمعة العائلة الفرعونية ... ! والله أعلم. لهذا طلبت من الله أن ينقذها من هذا **البيت الكبير** (أي بيت والدها في الأرض) ويبنى لها بيتا آخر في الجنة، وأن ينجيها من فرعون وعمله الظالم ومن قومه المعتدين. فاستجاب الله لدعائها، وكان جزؤها من الله أن ضرب بها مثلا للذين آمنوا، **مثلها مثل مريم أم عيسى** عليهم جميعا السلام :

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾

(التحريم١١-١٢)

تزوج رمسيس الثاني زيجته الثانية (حوالي عام ١٢٨٠ق.م. وكان قد ناهز الخامسة والعشرين) من الأميرة " **نفرتاري مرنموت**" (أي جميلة الجميلات) في السنة الأولى من حكمه المنفرد. ثم تزوج بعد ذلك من الأميرة "**إست نفرت**" والدة أهم ثلاثة من أبنائه، وهم من الكفار. وقيل إنها هى التي عثرت (بعد زواجها وقبل إنجابها لأطفالها) على الوليد "موسى". وبذلك تكون هي إمرأة فرعون...! وهناك آراء أخرى عديدة منها رأي (عن التوراة) بأن إمرأة فرعون هي أكبر بنات رمسيس الثاني الثلاث، اللاتي تزوجهن(الإبنة – الزوجة) وأيضا أنها إبنة عمه، وكذلك

عمة موسي ...! وقيل أنها من العمالقة...! وهذا كله نستبعده تماما لأسباب عديدة قوية وتاريخية، نسرد أهمها :

١- رفض الوليد أن يرضع من المراضع اللآتى أحضرهن آل فرعون، وظل يبكى من الجوع إلى أن حضرت أخته "مريام" بنت عمران العبرانى، التى كانت تقص أثره سرا بناءً على طلب أمها المؤمنة الصديقة. فقالت لآل فرعون هل أرشدكم إلى أسرة تكفله وتتعهده بالرضاعة، فقبلوا. وهكذا رُدَّ الوليد إلى أمه التى ولدته، لتكون مرضعة له (طه: ٣٩ ،٤٠) (القصص: ١١ - ١٣). هذا اللقاء البسيط السهل ما كان أن يتم " بالبيت الكبير" إلاّ وهو منتجع ريفى صيفى (أى قبل بناء مدينة "برزعمسيس" العاصمة الثانية للبلاد حوله بأسوارها العالية وبواباتها الكبيرة وحراسها اليقظين، وتحويل البيت الكبير إلي قصر ملكي) وبالتالي قبل زواج رمسيس الثانى من "إست نفرت".

٢- معاشرة "إست نفرت" للفرعون معظم حياته، وإنجابها منه العديد من الأبناء، منهم ولى عهده "مرنبتاح" عدو بنى إسرائيل، وصاحب العبارة "إسرائيل قد خربت وإنقطعت بذرتها" .

٣- ظهور الملكة "إست نفرت" فى رسم على لوحة مع الفرعون وبعض أبنائهما وهم يتعبدون طالبين مباركة الإله. وكان ذلك بمناسبة العيد الثلاثينى الأول من حكم الفرعون، أى بعد عودة موسى من أرض مدين ومواجهته، كرسول من الله، لفرعون .

٤- فارق السن بين الفرعون وموسى (وهو حوالى ١٢ سنة) يناسب زواج رمسيس الثانى من أخته عن من عداها .

٥- قالت بعض كتب التفسير أن الفرعون لما علم بإيمان إمرأته بموسى، بدأ تعذيبها على الملأ. وهذا يرجح كفة أخته على إست نفرت أم أبنائه وولى عهده .

٦- قيل أن إمرأة فرعون كانت إبنة عمه٠٠٠! مع أنه من الثابت تاريخيا أن والده الملك سيتى الأول كان وحيداً• .

وهكذا شاءت إرادة الله تعالى أن تجعل إمرأة فرعون سببا في إنقاذ الوليد (موسى) فإستحيته وربته، فكان جزاوًها من الله أن تؤمن به ليكون لها حسن ثواب الآخرة. وكذلك سببا في هلاك فرعون (شقيقها، وفى نفس الوقت زوجها الكافر) وجيشه، وإنقاذ الناس من ظلمه وبغيه .

هذا الإجتهاد إن كان صوابا فمن الله سبحانه، وإن كان خطأ فمن نفسى، إلى أن يكتشف علماء الآثار والتاريخ ما يوضح هذا المجهول٠٠٠ ؟ والله بغيبه أعلم .

• راجع المراجع التالية: ٣ : ١٨ ، ١٩٣ (١٩٩٤ م.).
١٤: ٦ ، ٤٢٧ ــ ٤٣١ .
١٤: ٧ ، ١٠٧ (١٩٩٤ م.).
١٩: ٢ ، ١٤٧ (١٩٩٤ م.).
٢٠: ٤ ، ٨٩٩ (١٩٩٨ م.).
تفسير ابن كثير: ٤ ، ٣١٤.
تفسير الألوسي: ٢ ، ١٦٣.

من هو هامان قرين فرعون موسى....؟

الإله آمون

إنفرد القرآن الكريم الذي أنزل في مطلع القرن السابع الميلادي بذكر اسم "هامان " في ست آيات بثلاث سور (القصص: ٦، ٨، ٣٨. العنكبوت: ٣٩. غافر: ٢٤، ٣٦). وهو لقب مصري قديم، له معنيان يكمل أحدهماالآخر :

الأول – يتكون الاسم من مقطعين (ها + آمان) وتعريبها " النافذ إلى أمون " ، وهو لقب كبير كهنة الإله آمون .

والثاني – ترجمة " هامان " هي: مرتفع الهامة أو الرأس العالى. وهو لقب يطلق عادة على الشخصية الرئاسية التي تجمع بين القيادة الدينية والسلطة التنفيذية .

كان هامان مصريا من قوم فرعون موسى (الملك رمسيس الثاني). ومن الواضح أنه كان أكبر رجال البلاط قوة وأشدهم نفوذا بعد فرعون نفسه. يدل على ذلك أن القرآن الكريم ذكر أسم هامان ملاصقا وقرينا لأسم فرعون في أربع من الآيات الست السالفة الذكر، وهى :

﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (القصص٦)

﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ ﴾

(القصص٨)

﴿ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾

(العنكبوت ٣٩)

﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ ﴾

(غافر ٢٤)

كما أن هامان، كان يمثل السلطة الدينية التي يعتمد عليها المصريون القدماء في نظام الحكم. فكان الملوك يعتنقون فكرة الملك المقدس الذي يدير شئون البلاد بالتفويض الإلهي. فهو إبن الإله، وله على شعبه حق الطاعة والتقديس. وتدل على ذلك الأسماء التي يتحلون بها مثل: "**مري آمون**" ويعني حبيب آمون، أو "**مي آمون**" ويعني الذي هو كآمون وهكذا... وهي ألقاب للملك رمسيس الثاني ، بل إن إسم "رعمسس" أي "**رمسيس**" يعني " ولد الإله رع " الشمس ــ الإله. من هنا أتت بالتبعية أو تولدت سلطة وقوة رجال الدين وعلى الأخص "هامان" الذي لم يكن فقط أقوى مؤيدا لفرعون، بل كان هو نفسه الكاهن الأول لآمون . وبالتالي يتضح أنه كان أحد أقطاب السلطة أو مراكز القوى الثلاثة في نظام الحكم في هذا العصر ، وهى المُلك والكهانة والطبقية (أى الطبقة الغنية) .

توجه موسى برسالته إلى فرعون بالإسم، وكان مقرونا بإسم هامان وقارون، كما ذكرنا بالقرآن الكريم. وهذا يؤكد على أن هامان كان أحد أقطاب السلطة، وليس تابعا أو خاضعا تماما لفرعون، كما أشار أحد الكتاب، وفي نفس الوقت لم ترد أي إشارة عنه بالتوراة . كذلك لم يجد المؤرخون له أي سند في التاريخ المصري القديم حتى اليوم . ولقد رشح أحد المصادر، أحد وزراء الملك رمسيس الثانى وهو "**رع حتب**" أخو الكاهن الأكبر "**منموسى**" للإله آمون لإسم هامان، لما له من شهرة واسعة وأسرة عريقة و ألقاب عديدة إلى الحد الذى

يجعله يجمع بين يديه السلطات الدينية و الحكومية و القضائية . و للعلم، كان عدد الكهنة الذين شغلوا منصب الكاهن الأول للإله آمون بالكرنك فى عهد الملك رمسيس الثانى يربو على الستة.... ويمكننا باستخدام المعلومات المتاحة أن نضع ثلاث صفات أساسية يمكن بها التعرف على هذه الشخصية المجهولة، وهي :

١-صفة التدين العميق اللازمة لمنصب الكاهن الأول لآمون الذي يدير شئون الإله الدينية والدنيوية معا .

٢- صفة قوة الشخصية المنفذة اللازمة للقطب الحاكم .

٣- الدراية التامة والخبرة بعلم الهندسة والعمارة .

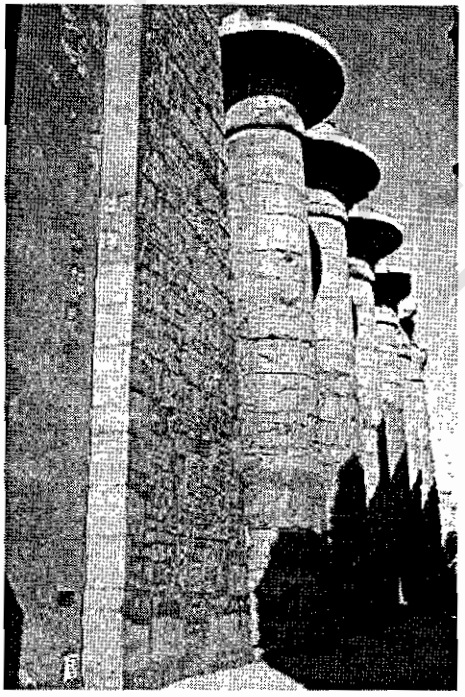

لقد دلت الظواهر علي أن الملك "رمسيس الثاني" قد عاصره عدة كُهَّان عظام، مثل: "وننفر" و "باسر" و "أمنحتب". ولكن الوثائق أطلعتنا بأن الذي كان يشغل هذه الوظيفة حتي نهاية حكم هذا الفرعون هو الكاهن الأكبر "**باك إن خنسو**" للإله "**آمون**" كما جاء علي الآثار التي أُرِّخت بعهد "**رمسيس الثاني**" .

كان "باك إن خنسو" طيبي المولد (حوالي عام ١٣٢٤ ق.م.) وكان أبوه يعمل كاهنا ثانيا بمعبد "آمون" بالكرنك. تعلم الإبن في صباه في مدرسة الكتبة بالمعبد نفسه، والتي كان يتخرج منها كل العظماء. ثم تدرج في كل الوظائف. وبعد خمسة وخمسين سنة خبرة، وفي العيد الثلاثيني الأول لحكم الملك "رمسيس الثاني" (أي في حوالي عام ١٢٦٠ ق.م.) عُيِّن كاهنا أول للإله "آمون"، وقد ناهز الرابعة والستين ولمدة ٢٧ سنة (أي حتي بلغ الحادية والتسعين، وهي السنة التي طلب فيها من الفرعون "رمسيس الثاني" إحالته علي المعاش بسبب تقدم سنه. وفي نفس السنة (عام ١٢٣٣ ق.م.) نُصِبَ فيها تمثاله في معبد الكرنك، وكان ذلك في حياة الفرعون رمسيس الثاني. وهذا يدل علي أن الفرعون قد رقاه إلي وظيفة كاهن أول لما آنس فيه من فضائل وصفات حسنة، ومُضيِّه نحو سبعين سنة في سلك الكهنة. بالإضافة إلي علمه ومهارته في فن العمارة، وهي التي لفتت نظر هذا الفرعون صاحب الإنشاءات العظيمة. فقد عُرف أنه كان المسئول عن إنجاز معبد الأقصر، وأنه أضاف إليه ردهة وبوابة ضخمة من الجرانيت، صُوِّرَت علي جدارها معركة "قادش" الشهيرة. ولقد نُسِبَت هذه البوابة إلي "باك إن خنسو" بوجه خاص .

في أواخر عصر الأسرة ١٩، وبعد موت الفرعون "رمسيس الثاني"، حكم إبنه وولي عهده "مرنبتاح" (أي محبوب الإله بتاح) لمدة عشر سنوات تقريبا، حيث كان كبيرا في السن. ولما تدهور الحال بالإمبراطورية المصرية الثانية، وتنازع ذوي النفوذ والمطامع للوصول إلي العرش (مثل الإخوة وأولادهم، وحكام الأقاليم، والكهنة)، ونهبت ممتلكات الدولة. وظلت مصر عدة سنوات كأنها بدون حاكم، حتي عام ١١٩٥ ق.م. :

﴿ كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

(الدخان ٢٥-٣١)

في هذا العام ظهر من أنقذ البلاد، واسمه "**ست نخت**" (أي ست المنتصر). ونجح بالنهوض بالبلاد، وأسس **الأسرة العشرين**. وجاء من بعده إبنه "**رمسيس الثالث**" (عام ١١٩٢ – ١١٦٠ ق.م.). وكان آخر الملوك المحاربين العظام، الذين حافظوا علي الإمبراطورية المصرية الثانية، وسطر وصور إنتصاراته ضد الشعوب الهندو-أسيوية (وهي شعوب البحر المتوسط) المعتدين، علي جدران معبد "**هابو**" بطيبة (الأقصر حاليا). ودارت المعركة البريه عند بلدة رفح علي الحدود الشرقية. أما المعركة البحرية، التي اعتُبرت أول معركة كبري مسجلة في العالم، فكانت أمام مصب فرع نهر النيل عند ميناء "رشيد" ، عام ١١٨٤ ق.م..

وهنا تجدر الإشارة إلي ما قيل، بأنه يُوجد ثلاثة كهنة باسم "باك إن خنسو" في عهود "تحتمس الرابع" و "رمسيس الثاني" و "رمسيس الثالث". غير أن معظم الأثريين وصلوا إلي نتيجة، أن "باك إن خنسو" الكاهن الأكبر للإله "آمون" كان في ذلك واحدا، وهو الذي عاصر عهد "رمسيس الثاني" (كما جاء بموسوعة مصر القديمة، للأستاذ الدكتور سليم حسن). ولا يبعد أن "باك إن خنسو" قد مات بعد أن ناهز السابعة بعد المائة، ودفن في قبره الذي نحته لنفسه في جوف "تل ذراع أبي النجا" رقم ٣٥. وكان ذلك في عام ١٢٤٧ ق.م.، أي في عهد الملك "مرنبتاح" ابن الملك "رمسيس الثاني" .

لقد نجحت بعثة الآثار المصرية، التابعة للمجلس الأعلي للآثار، في الكشف (حديثا جدا، نهاية عام ٢٠٠٦ م.)* بطريق الكباش، الذي كان يربط بين معبدي الكرنك والأقصر، عن لوحة ضخمة منحوتة من الكوارتزيت تخص "باك إن خنسو" كبير كهنة الإله "آمون". حُفِرَ عليها نص هيروغليفي، يشير إلي أن الكاهن قام بالعديد من الإنشاءات داخل الصالة الكبري لمعبد الكرنك .

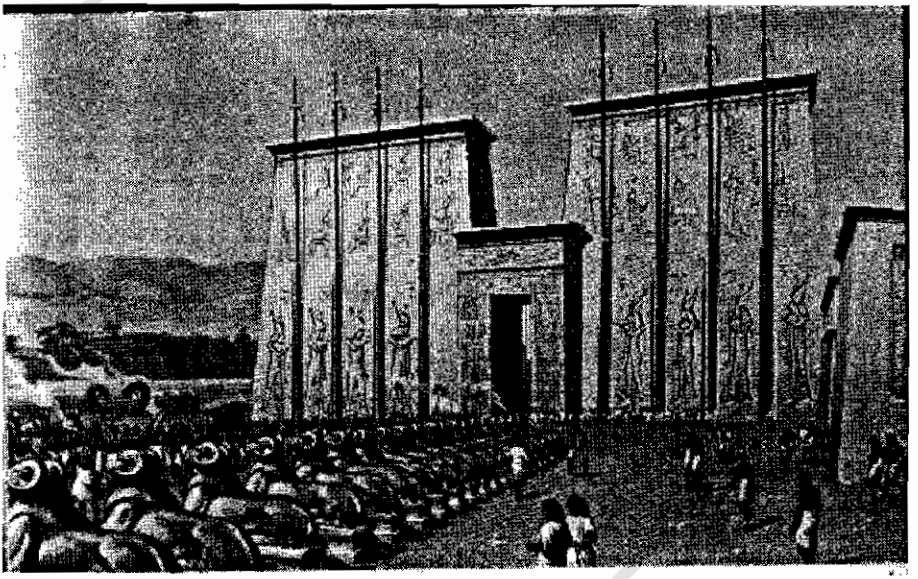

على ذلك فإننا نرجح (ولأول مرة) أن هذا اللقب " **هامان** " الذي جاء بالقرآن الكريم، ينطبق على الكاهن "**باك إن خنسو**" الذي شغل وظيفة "الأمير الوراثي" رئيس كهنة كل الآلة، وكذلك الكاهن الأول لآمون في الكرنك، خاصة وأنه كان **يتفرد بمهارته في فن العمارة**. ولقد نفذ فعلا بعض إنشاءات هذا الفرعون صاحب المباني العظيمة، مثل: تعديل مبنى معبد الأقصر، و إقامة مسلتين لا تزالا قائمتين حتى الآن بالأقصر وباريس، وكذلك بناء السفن العظيمة التي تسبح علي نهر النيل للآلهة :

*جريدة الأهرام في ١٨ – ١٢– ٢٠٠٦ م. ص ٤٠ (من غير عنوان) .

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾

(القصص٣٨)

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

(غافر٣٦-٣٧)

فما كان بناء " الصرح " ليتم إلا بأمر من الكاهن الأكبر ، وبأمر رجل يجمع من المعرفة والعلم بين الدين وهندسة التشييد .... و الله بغيبه أعلم .

آيات موسى عليه السلام

جاءت بالقرآن الكريم معجزات سماوية عديدة لموسى ولقومه ولمن إتبعه، ولفرعون وقومه ، فى مقامات مختلفة. ولقد إختلف علي عددها وتصنيفها المفسرون. ولقد بلغ عدد هذه المعجزات، في إعتقادي، **٢٧ معجزة** على الأقل... (والله أعلم) .

من هذه المعجزات **تسع آيات** بيّنات نزلت على موسىلأتباعه ، ولفرعون وقومه، حتى يؤمنوا به كنبى وبربه الذى أرسله إليهم (هذا خلاف ما جاءت به التوراة) :

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ ﴾

(الإسراء ١٠١)

فى البداية أرسل الله نبيه موسى إلى فرعون وقومه مؤيدا **بمعجزتين** فى مقام واحد ، وهو إثبات صدق موسى وصحة دعوته، وهى: "العصا" و "اليد البيضاء" :

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ﴾ **(طه١٧-٢٣)**

ولما إستكبر الفرعون وعصى، إبتلاه الله **بآيتين** فى مقام آخر للتخويف والعذاب، وهى: "السنين" (أى القحط) و"نقص فى الثمرات" :

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾

(الأعراف ١٣٠)

ضحك الفرعون وقومه فى البداية، ثم إستغاثوا وتوسلوا لموسى حينما عمّهم البلاء. ووعدوه بالإيمان تارة، وبإرسال بنى إسرائيل معه تارة أخرى، إذا سأل ربه كشْف ما وقع بهم من عذاب. وبعد ما كُشف عنهم ما نزل بهم ، حنثوا بعهودهم. فأنزل الله عليهم مزيدا من العذاب الأشد، بلغت **خمس آيات** أُخريات لتصل فى مجموعها الى تسعة ليتعظوا، وهى : "الطوفان" (المطر وفيضان نهر النيل المرتفع) بعد سنوات القحط. و"الجراد" الذى يأتى على المحاصيل. و"القمل" الذى يفسد الثمار ويقضى على النبات والحيوان. و"الضفادع" التى تنتشر فتقلق الحياة والراحة. و"الدم" الذى يسبب الأمراض وأيضا ينتج منها :" **فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ** "(الأعراف: ١٣٣). ومع كل هذا أستمر الفرعون فى طغيانه إلى أن أنزل الله علي موسى **الآية الكونية الكبرى** (البقرة: ٥٠) ، التى هى، فى إعتقادى **آيتان مختلفتا الهدف** :

الأولى- شق مياه البحر لعبور موسى وقومه ونجاتهم .

الثانية- إطباق مياه البحر على فرعون وجنوده ، ليس لترهيب الفرعون حتى يؤمن كالآيات السابقة، ولكن للإنتقام منه بهلاكه، ثم إغراق جثته (أى بدنه بعد موته) مع جنوده. وبعد ذلك تنْجِيَتُها لتحنط وتحفظ وتعرض، لتكون عبرة وآية للأجيال من بعده حتى يومنا هذا. ولهذا فهى من الأفضل ألا تدخل

ضمن التسع آيات البينات وتحسب مع الآيات الأخرى الباقية، كما سوف نـذكر فيما بعد .

أما بقية المعجزات السماوية، وهى **ثمانية عشر**، فقد نزلت لموسى ولقومه وأتباعه وللكفرة بربه في خمس مقامات مختلفة، هى :

١- أربع آيات لموسى شخصياً، وهى :

إزالة عقدة لسانه ليفهمه قومه :

﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ ﴾ (طه٢٥-٢٨)

دك الجبل في الأرض ليعلم موسى أن رؤيته لله مستحيلة :

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ (الأعراف ١٤٣)

جرى الحجر تلقائيا بملابسه وهو يغتسل، حتى يعلم المفترون عليه من قومه أنه سليم الجسم :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ ﴾ (الأحزاب٦٩)

أعجوبة الحوت الميت الحي بقصته مع العبد الصالح :

﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ ﴾

(الكهف٦١-٦٣)

٢- خمس آيات للإقناع بقدرة الله المطلقة ، وهى :

شق مياه البحر لعبورموسى وإتباعه إلى سيناء برًا للأمان :

﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

(البقرة٥٠)

كتابة الشريعة في الألواح والوصايا العشر. فلقد أنزل الله التوراة علي موسي وفيها الهداية إلي الحق، وبيان بالأحكام التي يحكم بها النبيون :

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

(المائدة٤٤)

=

نتق الجبل (الطور) فوقهم ليمتثلوا لشريعة الله وأوامره :

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ (البقرة٦٣)

﴿ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ (الأعراف : ١٧١)

بقرة بني إسرائيل وإحياء الميِّت :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾

(البقرة٦٧-٧٣)

معاقبة الله بني إسرائيل لعصيانهم أمره ورفضهم دخول الأرض المقدسة وقد ضعفت نفوسهم. فحرَّمها عليهم ومعهم موسي نفسه وأخيه وأخته، وذلك بالتيه في برية سيناء أربعين سنة. وهى مدة كافية لموت جيلهم الذي صاحب موسي ونشأ في عُبودية الفرعون. وحتي يقوم الجيل التالي الجديد الشاب الحُر (تحت العشرون سنة) فيدخل فلسطين (أمثال "يوشع بن نون" و "كالب بن يفنة"):

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾

(المائدة٢٠-٢٦)

٣- ثلاث آيات إستجابة لشكوى أتباعه من صعوبة المعيشة بصحراء سيناء، وهى :

ظلال الغمام من شدة حرارة الشمس. والمن والسلوى لإطعامهم :

﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

(البقرة٥٧)

إنشقاق الحجر إلى ١٢ عيناً ، عين لكل سبط (قبيلة) فشربوا وملأوا أوعيتهم :

﴿ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (البقرة٦٠)

٤- ثلاث آيات للتخويف والعقاب لحين، وهى :

موت ثم بعث السبعون رجلا لمّا طلبوا رؤية الله جهرة :

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

(البقرة٥٥-٥٦)

مخالفتهم تعاليم الله فى دخول بيت المقدس، فأنزل الله عليهم العذاب من السماء:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ (البقرة٥٨-٥٩)

الصيد بحاضرة البحر في يوم السبت المخصص لعبادة الله. فمسخ الله الضالين من أهل القرية حتي تصير طباعهم وسلوكهم كالقردة، عبرة لغيرهم، ونجي الفئة التي تمسكت بعهدها :

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ ﴾

(البقرة٦٥)

٥- ثلاث آيات للإنتقام من مَن طغى و تجبّر ونسيَ ربه، فأهلكه أو عذبه طوال حياته وإلى يوم القيامة، و هى :

خسف الأرض بقارون و قصره :

﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾

(القصص ٨١)

إصابة جميع الذين عصوا الله وكفروا بآياته وقتلوا أنبيائه ظلماً وعدوانا (وسُمّوا بالفاسقين) بالمذلة والفرقة (فقراء كانوا أو أغنياء)، وكذلك ملازمة غضب من الله عليهم :

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ

ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

(البقرة ٦١)

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾

(البقرة ٧٤)

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ ﴾

(النساء ١٥٥)

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾

(المائدة ٦٤)

إطباق ماء البحر على الفرعون وجنوده (البقرة: ٥٠، سبق ذكرها) .

لما تم عبور جميع قوم موسى البحر إلى سيناء، كان جنود فرعون قد توسطوا طريق المعبر. وحينئذ أمر الله البحر أن يعود إلى طبيعته. فأنطبق عليهم وغطاهم الماء وطواهم (أى إستدار عليهم) وأغمى عليهم. فغرقوا فى ماء يمكن أن يكون ضحضاحاً، أمام أعين بنى إسرائيل .

﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ ﴾

(طه٧٨)

أما الفرعون مُدّعى الإلوهية، فقد مات بالسكتة القلبية من هول ما رأي... ثم غرقت جثته بمعجزة كونية كبرى تتناسب مع جبروته وإستعلاءه .

مومياء رمسيس الثانى. منظر جانبى يوضح اليد اليسرى مرفوعة وهو وضع مغاير لجميع المومياوات الأخرى.

ولِتُبيّن كذلك أن الله أكبر، كما هو واضح فيما يلى: لما أُكتشفت مومياء الملك رمسيس الثانى، فرعون موسى، حديثا (أى بعد أكثر من ثلاثة آلاف سنة -عام ١٨٧٢م.- وهى محفوظة بالمتحف المصرى حتى الآن) لوحظ أن يده اليسرى مرتفعة إلى أعلى عن الصدر، بينما اليد اليمنى مستريحة عليه. مما لفت النظر إليها بالنسبة لغيرها من المومياءات جميعاً، والتى فيها اليدان متقاطعتان ومستريحتان على الصدر. كأن الفرعون فى لحظة موته، كان يدرأ خطراً عن

نفسه بيده. وهذا، لو تخيلنا الأمر، يكون صحيحا. حيث أنه عند إنطباق أمواج البحر عليه، رفع يده اليسرى الممسكة بدرعه تلقائيا ليتقى بها لطمة موجة مندفعة نحوه، فى حركة عصبية لا إرادية، لإتقاء خطر داهم ومرعب عليه، إلى درجة تقلصت لها عضلات كل من ذراعه الأيسر لحد التيبس، وقلبه لحد الممات....!

ولذلك لم يمت الفرعون بإسفكسيا الغرق، ولكن الذى غرق فى ماء ضحضاح هو بدنه الهامد بعد أن فارقته الحياة وهو واقف على عربته الحربية. وهذا يتمشى مع التقرير الطبى الفرنسى بعد فحص مومياؤه حديثا. ومع أنه من المعروف طبيا، أن أى تقلّص للعضلات عادة ما يحدث لها إرتخاء بعد يوم على الأكثر من الوفاة، إلآ أن يد الفرعون اليسرى فقط ، ظلت مرتفعة وكلما ضُمت الذراع إلى الصدر، عادت لترتفع ثانية.... ! حتى بعد تحنيط الجثة و دفنها آلاف السنين إلى يومنا هذا.... ! سبحان الله .

والسبب غير معروف.... أو لحكمة لايعرفها إلا علام الغيوب....

﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ٩٢ ﴾

(يونس ٩٢)

أصحاب الكهف

(مـــلّتهم وزمانهم ومكانهم ... ؟)

نزلت سورة الكهف لتثبت أن البعث بعد الموت إلي حياة الآخرة للحساب ، مثل الإحياء الدنيوي لأول مرة ، وأنه حق . فالكافر الساخر بربه وآياته ورسله يلقي جزاءه بإلقائه في جهنم . والمؤمن يكافأ علي عمله الصالح في دنياه بحسن الجزاء بنزوله في الجنة :

﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ ﴾

(الكهف٤٨)

﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ ﴾

(الكهف ١٠٦)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾

(الكهف ١٠٧)

أما أصحاب الكهف فكانوا من الشباب المؤمن بالله الواحد ، الرافض الشرك به، وأنه أتخذ ولدا ، كما أدعي قومهم بدون إثبات (أى كذبا) :

﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾

(الكهف٤-٥)

إن الذين أدعوا كذبا أن الله أتخذ ولدا هم قومان :

١ – **أحبار اليهود** (أى حفظة التوراة وكتبتها) القائلون أن **عزرا** (أو **عُزّير** بالعربية) إبن الله :

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

(التوبة ٣٠)

وكان ذلك بعد وفاة موسي بنحو ثمانية قرون، وقبل ميلاد المسيح بحوالي أربعة قرون (وقيل أنه أحد أنبياء بنى إسرائيل وإسمه " إرميا"، وهذا غير صحيح، لأن إرميا بن حلقيا كاهن آخر). آنذاك (أى فى عهد ملك الفرس الرحيم " **كورش** "**الأكبر**، عام ٥٢٩ ق.م.) عاد الفوج اليهودي الثاني من السبي الفارسي الذى حدث قبل ذلك بحوالى ٦٠ سنة (أى فى عهد ملك بابل " **بختنصر**") إلي أورشليم بقيادة الكاهن الحبر عزرا (وتعني الكاتب). وللعلم، إن نسب **عزرا** ينتهي إلي فينحاس بن ألعازار بن **هارون** عليه السلام . لهذا لم يكن عزرا، فى بعض الآراء، نبياً ولكنه كان أحفظ الناس لتوراة موسي. هذا ولقد تغيب عزرا غيابا طويلا، ثم عاد قبل زمن **زكريا** عليه السلام، أى في عهد ملك فارس "**أرتاكزركسيس الثاني**"، عام ٤٠٤ – ٣٤١ ق .م. (أي غاب حوالي مائة عام). وكانت الديار بأورشليم قد خرّبت والرجال قد قُتلوا ومظاهر العمران قد طُمست. علاوة على إحراق التوراة وإندثارها، ولم يبق في بني إسرائيل من يحفظها سوى عزرا.... ولهذا قيل أن عزرا إبن الله ...! فإليه وحده يُعزى النص المقدس الذي إستنسخه من ذاكرته لتوراة موسي التي بين يدينا حالياً .

أما القرآن الكريم فقد ذكر قصة الذى مرّ علي قرية متهدمة وهلك أهلها، فقال كيف يُحيي الله هذه القرية بعد موتها ..... ؟ فأماته الله هو وحماره (وكان يحمل معه طعاماً وشراباً) لمدة مائة عام ، ثم بعثه آية للناس في الإماتة والإحياء، ولم يُسمِ صاحبها :

﴿ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾

(البقرة ٢٥٩)

من هذا يتضح أن بعض اليهود تركوا شريعة التوحيد بعد حوالي ٨٠٠ سنة من موت موسي ، مدّعين بأن الله قد إتخذ ولدا، وهو "عزرا أو عُزَيْر" الكاهن الكاتب . ومن أجل هذا، كان إضطهادهم لأخوانهم الذين ثبتوا علي شريعة التوحيد .

٢ – النصارى الذين أدعوا كذلك أن المسيح إبن الله :

سورة **التوبة**، الآية : ٣٠ ، كما أسلفنا .

كان ذلك بعد ميلاد المسيح بحوالى ثلاثة قرون (عام ٣٢٥ م. مجمع النيقاوى ثم عام ٣٨١م. مجمع القسطنطينية) أى في عصر الإمبراطورية الرومانية التي كا نت تضم الشام وفلسطين ومصر تحت سلطانها . ودام حكمها نحو ٦٦٨ سنة (أي من ٣٠ ق.م .– ٦٣٨م .) . ولقد نصّت تعاليم المسيحية

بمذاهبها الثلاثة (الكاثوليكية والأرثوذوكسية والبروتستانتية) وطبقا للكتاب المقدس (الإنجيل)، على وجود ثلاث أصول (أى أقانيم) معا فى اللاهوت: تُعرف "**بالأب والإبن والروح القدس**" وهى متساوية فى وحدة اللاهوت. ولذلك كان إضطهادهم لإخوانهم المسيحيين الموحدين عنيفاً ، لإشتراك الحكام الروم الوثنين في ذلك . بعد ذلك قرر مجمع طليطلة (عام ٥٨٩ م.) أن "الروح القدس (أى جبريل وهو من الملائكة المقرّبين)" منبثق من الإبن أيضا. ولقد قبلت الكنيسة الكاثوليكية هذه الإضافة. أما الكنيسة الأرثوذكسية فقد رفضته على أنه بدعة. وكان هذا الخلاف هو سبب عدم إتحاد الكنيستين .

وفى هذا الصدد يوضح القرآن الكريم أن الله قد أمدّ عيسى ابن مريم بالمعجزات العديدة وأيده بجبريل جبار الله والروح الأمين "روح القدس" :

﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ ﴾

(البقرة ٢٥٣)

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى

وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ ﴾

(المائدة ١١٠)

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾

(المائدة١٧-١٨)

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ ﴾ (النساء ١٧١-١٧٢)

﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ ﴾ (الكهف ١٤-١٧)

بالرجوع إلي ما تقدم، وإلي هذه الآيات السابقة من سورتى النساء والكهف يتبين لنا :

أن أصحاب الكهف كانوا من المسيحيين الموحدين سرّاً، والذين تعرضوا لهذا الإضطهاد الشنيع المزدوج ، والذي حدث في بداية النصف الثاني من فترة الأمبراطورية الرومانية ،وإنشطارها إلي شرقية وغربية، أي في الجزء الشرقي أو البيزنطي أو اليوناني (في عام ٣٩٥- ٦٣٨م.). ورأوا بعيونهم قبح فعل ذويهم، الذين إفتروا علي الله كذبا وأشركوا معه، سبحانه، إلهين آخرين. فأخذوا علي عاتقهم هجرة الأهل والإنعزال عن الناس خوفا من الفتنة. وثبَّت الله قلوبهم علي الإيمان وقوّاهم، فقاموا وقالوا لقومهم إنهم ملتزمون بشريعة التوحيد، وطلبوا من الله المغفرة والتوفيق والإرشاد والأمن من أعدائهم. وهداهم الله إلي اللجوء فرارا (ومعهم كلبهم) إلي كهف بدروب أورشليم (بيت المقدس مقر الحكم) .

ولقد كانت فتحة هذا الكهف واسعة ومتجهة إلي الشمال، حتي لا تدخُله أشعة الشمس فتُؤذيهم، وفي نفس الوقت تهب عليه الرياح الشمالية الباردة فترطبه وتحفظهم .

ولما ناموا حفظ الله أجسادهم مدة طويلة (وهم لا يدرون) لا يعلم مداها إلا هو ، وقيل أنها ٣٠٩ سنة... والله أعلم. وظن الفتية أنهم ناموا يوما أو بضع ساعات فقط . ثم بعثهم الله في زمن قوم مؤمنين به ، ليكون أمرهم آية أخري للإحياء للناس ،وليعلم أهل مدينتهم أن وعد الله بالبعث حق ، وأن القيامة لا ريب فيها . وكذلك لم يذكر الله عدد أصحاب الكهف ولا أسمائهم إلا للقليل من أهل الكتاب ، لأنها من غيبه وهو بغيبه أعلم :

﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ ﴾

(الكهف١٩)

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾

(الكهف٢٢)

﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾ (الكهف٢٥-٢٦)

بعد ذلك قبض الله أرواح أصحاب الكهف، فقال أهل المدينة إبنوا علي فتحة كهفهم حائطا. وقال أولي الأمر فيهم (أي الطبقة الحاكمة) بل لنتخذ عليهم مسجدا .

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ ﴾

(الكهف٢١)

هذه الآية تلقي الضوء علي مكان الكهف، وأنه قريب من إقامة الناس والطبقة الحاكمة المسلمة للبلد، أي قريب من أورشليم. وكذلك على زمان بعث هؤلاء الفتية، وأنه واكب نزول القرآن الكريم وظهورالإسلام (أي بعد عام ٦٠٩م.) بل وبعد دخول الإسلام فلسطين (أى بعد موقعة اليرموك، عام ٦٣٦م. الموافق عام ١٥ هجرية. والدليل علي ذلك إستخدام إسم "مسجد" وتصريفاته لأول مرة ، مثل: (مسجدا ، ومساجد الله ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصي .....الخ) ٢٨ مرة بالقران الكريم، بدلا من " البيت أو بيت الله " لأماكن العبادة والصلاة ، مثل: (البيت الأول ، والبيت المعمور ، وبيت المقدس.....الخ). والذي جاء ذكره بالكتاب العزيز ٢١ مرة ، كما هو واضح من التسلسل التاريخي لأحداث قصص الأنبياء من عهد إبراهيم وإسماعيل...إلي عهود يعقوب ويوسف والأسباط ... ثم موسي ... وعيسي ... عليهم جميعا السلام. كما يؤكد أن أصحاب الكهف كانوا من النصاري الموحدين... والحمد لله رب العالمين .